١٢٧٠: ابن خلدون عن الأحداث التي أدت إلى الحملة الصليبية التونسية للويس التاسع

دانيال ج. كونيغ

دانيال ج. كونيغ، ١٢٧٠: ابن خلدون عن الأحداث التي أدت إلى الحملة الصليبية التونسية للويس التاسع، المنشور في: تأريخ العلاقات عبر البحر المتوسط، المجلد ٢، العدد ١ (٢٠٢٠).

DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2020.2.1.27

الملخص: يبحث المقال ويتناول بالسياق تفسير ابن خلدون للحملة الصليبية التي قام بها لويس التاسع إلى تونس عام ١٢٧٠م. ويتضح من خلال مقابلة لدوافع التفسير اللاتينية–المسيحية والعربية–الإسلامية للحملة الصليبية إثبات وجود دوافع مختلفة تمامًا للحملة الصليبية بسبب أفق اعرفية ومقاصد عرض مختلفة على جاني البحر المتوسط. وقد نشأ تنوع هذه العروض للأحداث بعد وفاة لويس التاسع بفترة وجيزة وغطى على الدوافع الفعلية للعملية التي من غير الممكن الحديث عنها اليوم إلا على وجه الإفتراض.

المصدر

ابن خلدون، تأريخ، تحقيق سهيل زكار وخليل شحادة، ٨ مجلدات، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠–٢٠٠١، ج ٦، ص ٤٢٥–٤٢٦.

وهلك منهم عالم، وقيد سلطانهم أسيراً من المعركة إلى السلطان فاعتقله بالإسكندرية، حتى مرّ عليه بعد حين من الدهر وأطلقه على أن يمكّنوا المسلمين من دمياط فوفّوا له. ثم على شرط المسالمة فيما بعد فنقضه لمدة قريبة واعتزم على الحركة إلى تونس متجنّياً عليهم فيما زعموا بمال أدعياء تجّار أرضهم، وأنهم أقرضوا الليابي فلما نكبه السلطان طالبوه بذلك المال وهو نحو ثلثمائة دينار بغير موجب يستندون إليه، فغضبوا لذلك واشتكوا إلى طاغيتهم فامتعض لهم ورغّبوه غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموتان.

فأرسل الفرنسيس طاغية الإفرنج وإسمه سنلويس بن لويس وتلقّب بلغة الإفرنج روا فرنس ومعناه ملك إفرنس، فأرسل إلى ملوك النصارى يستنفرهم إلى غزوها، وأرسل إلى القائد خليفة المسيح بزعمهم فأوعز إلى ملوك النصرانية بمظاهرته، وأطلق يده في أموال الكنائس مدداً له. وشاع خبر استعداد النصارى للغزو في سائر بلادهم، وكان الذين أجابوه للغزو ببلاد المسلمين من ملوك النصرانية ملك الإنكتار وملك اسكوسيا وملك نزول وملك برشلونة وإسمه ريدراكون وجماعة آخرون من ملوك الإفرنج، هكذا ذكر أبن الأثير.

وأهم المسلمين بكل ثغر شأنهم وأمر السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدّة، وأرسل في الثغور لذلك بإصلاح الأسوار واختزان الحبوب، وانقبض تجّار النصارى عن تعاهد بلاد المسلمين. وأوفد السلطان رسله إلى الفرنسيس لاختبار رحاله ومشارطته على ما يكف عزمه. وحملوا ثمانين ألفاً من الذهب لاستتمام شروطهم فيما زعموا، فأخذ المال من أيديهم وأخبرهم أنّ غزوه إلى أرضهم. فلما طلبوا المال اعتلّ عليهم بأنه لم يباشر قبضه ووافق شأنهم معه وصول رسول عن صاحب مصر، فأحضر عند الفرنسيس واستجلس فأبى وأنشده قائلاً من قول أبي مطروح شاعر السلطان بمصر:

قل للفرنسيس اذا جئته | مقال صدقٍ من وزير نصيح
آجرك الله على ما جرى | من قتلِ عباد نصارى المسيح

أتيت مصراً تبتغي ملكها | تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين إلى أدهم | ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودَعتهم | بسوء تدبيرك بطن الضريح
سبعون ألفاً لا يُرى منهم | إلّا قتيل أو أسير جريح
ألهَمَكَ الله إلى مثلها | لعلّ عيسى منكم يستريح
إن كان باباكم بذا راضياً | فربّ غشٍّ قد أتى من نصيح
فاتخذوه كاهناً إنه | أنصح من شقٍ لكم أو سطيح
وقل لهم إن أزمعوا عودةً | لأخذ ثارٍ أو لشغلٍ قبيح
دار ابن لقمان على حالها | والقيداً باقٍ والطواشي صبيح

يعني بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية والطواشي في عرف أهل مصر هو الخصي.

فلما استكمل إنشاده لم يزد ذلك الطاغية إلا عتوّاً واستكباراً، واعتذر عن نقص العهد في غزو تونس بما يسمع عنهم من المخالفات، عذراً دافعهم به، وصرف الرسل من سائر الآفاق ليومه.

فوصل رسل السلطان منذرين بشأنهم وجمع الطاغية حشده وركب أساطيله إلى تونس أخر ذي القعدة سنة ثمان وستين وستمائة واجتمعوا بسردانية وقيل بصقلية. ثم واعدهم بمرسى تونس وأقلعوا ونادى السلطان في الناس بالنذير بالعدو والاستعداد له، والنفير إلى أقرب المدائن، وبعث الشواني لاستطلاع الخبر واستفهم أياماً.

التأليف والعمل

[١] يُعتبر أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (توفي ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) أحد أشهر المؤرخين من المحيط العربي الإسلامي بعصر ما قبل الحداثة. ونظرًا لسعة اطلاعه وكذلك خبراته المتنوعة في أجزاء مختلفة من المحيط العربي الإسلامي فقد كان يمتلك مدارك معرفية واسعة تتسم بتعمقه التاريخي الكبير. ونظرًا لإعتباراته الكثيرة عن عمل المجتمعات، فإنه يُعد في البحث العلمي المعاصر أيضًا أحد رواد التفكير الاجتماعي.[1]

[٢] يحمل عمله الرئيسي ، وهو عبارة عن تاريخ شامل، العنوان "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العَرب والعَجم والبَربر وَمَن عاصَرَهُم من ذَوي السُلطان الأكبر". ونظرًا لأن الكتاب يحتوي أيضًا على مُلحق للسيرة الذاتية للمؤلف، فإننا على علم بشكل جيد للغاية بسيرة ابن خلدون نفسه. وسوف تُعرض هنا في مقتطفات عامة.

[٣] وفقًا لكلام ابن خلدون فإن أسرته تنحدر أصلاً من اليمن، لكنها انتقلت في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث صارت لفترة طويلة من الأنساب الرائدة في إشبيلية. وقبيل عام ١٢٤٨م هاجرت العائلة عبر سبتة إلى تونس حيث عمل العديد من أعضائها في خدمة الدولة الحفصية.

[٤] وُلد ابن خلدون عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م في تونس، وعاصر وهو ابن ١٥ عامًا تقريبًا فتح تونس على يد السلطان المريني أبو الحسن، وفقد والديه أثناء الطاعون الجارف بين عامي ٧٤٩ – ٧٥٠هـ / ١٣٤٨ – ١٣٤٩م. وعندما بلغ ٢٠ عامًا من عمره عُيّن

[1] Issawi, Preface, p. xi.

كاتب العلامة للسلطان الحفصى أبي إسحاق (حكمه ٧٥١ – ٧٧٠هـ / ١٣٥٠ – ١٣٦٩م)، لكنه سرعان ما خرج من خدمته من أجل إكمال تعليمه في بلاط الدولة المرينية في فاس. وقد أقام هناك ما يقرب من أحد عشر عامًا وتقلد مناصب مختلفة، منها منصب "قاضي المظالم".

[٥] دفعته اضطرابات سياسية مختلفة قادت به بشكل خاص إلى السجن لمدة عامين إلى الهجرة إلى غرناطة. وهناك أُرسل خلال إقامته التي استمرت لقرابة ثلاث سنوات كمبعوث للسلطان محمد الخامس (حكمه ٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٤-١٣٥٩م وكذلك ٧٦٣-٧٩٣هـ/١٣٦٢-١٣٩١م) إلى بيدرو (Pedro) الأول ملك قشتالة (حكمه ١٣٥٠-١٣٦٩م)، حيث عرض عليه الأخير البقاء في بلاطه الملكي.

[٦] بعد إقامة قصيرة في بلدة بجاية بشمال إفريقيا انسحب ابن خلدون لقرابة أربع سنوات في الفترة من ١٣٧٥ إلى ١٣٧٩م من العمل السياسي وانقطع لأول مرة لكتابة التاريخ. ثم جاء مرة أخرى لفترة وجيزة إلى مجلس السلطان لكي يغادر بعدها شمال غرب إفريقيا بحجة التوجه لقضاء فريضة الحج وانتقل إلى مصر. وقد أقام بمصر في الأسكندرية أولاً، ثم في القاهرة بداية من عام ٧٨٤هـ/١٣٨٣م، حيث عمل قاضيًا ومدرّساً بالجامع الأزهر على وجه الخصوص. وقد لقيت أسرته التي لحقت به إلى القاهرة بعده بعام حتفها بشكل مأساوي جراء تحطم سفينة كانت تستقلها. ومنذ ذلك الحين ظل ابن خلدون بالقاهرة، حيث تقلد في السنوات التالية العديد من المناصب العليا. وبجانب رحلته للحج إلى مكة قاده قربه بالصفوة المملوكية بشكل خاص إلى القدس وبيت لحم، ثم في عام ١٤٠١م إلى دمشق التي كان يحتلها ملك آسيا الوسطى تيمورلنك، حيث أجرى ابن خلدون معه حديثًا طويلًا. وتوفي ابن خلدون عام ٨٠٨هـ/١٤٠٦مذ في القاهرة حيث دفن أيضًا.[2]

[٧] أهم أعمال ابن خلدون التي وصلت إلينا هو كتاب التاريخ الشامل متعدد المجلدات المذكور الذي يحتوي في تحقيق زكار وشهادة على سبع مجلدات بالإضافة إلى مجلد ثامن للفهارس يحتوي كل منها على قرابة ٧٠٠ صفحة.[3] ويتكون المجلد الأول ممّا يُعرف "بالمقدمة"، وهي عبارة عن تمهيد نظري لعلم التاريخ وطريقة عمل المجتمعات الإنسانية بشكل عام. والمقدمة مشهورة للغاية بسبب مستواها التفكير النظري العالي وتُرجمت إلى لغات عديدة[4] كما توجد أيضا طبعة محققة.[5] أما التاريخ الشامل الفعلي المتوفر في العديد من المخطوطات على إختلاف في بعض نسخها فلم يتم تحقيقه أيضًا إلا قريبًا[6] ولم يُترجم إلا بشكل جزئي.[7] وهو يقود القراء إنطلاقا من بدء الخلق مرورًا بتاريخ ما قبل ظهور الإسلام والتاريخ الإسلامي وصولاً إلى عصر المؤلف. والتاريخ يجمع فيه معلومات من مؤلفات العربية الإسلامية للعديد من المصنّفين في التاريخ بالقرون السابقة ويثريها بملاحظات وخبرات شخصية للمؤلف.

[٨] الظاهر أن ابن خلدون كرس جهوده بعد قراره الانسحاب من السياسية لأول مرة لعمله الضخم؛ فخلال إقامته لقرابة أربع سنوات في قلعة بني سلامة التي تقع اليوم بدولة الجزائر ألّف في الفترة بين عامي ٧٧٦ – ٧٨٠هـ / ١٣٧٥ – ١٣٧٩م النسخة

---

[2] Talbi, Ibn Khaldūn, pp. 825–831; Singer, Ibn Ḫaldūn, pp. 316–317; al-Šaddādī, Muqaddima, pp. XXVII–XXXI.

[3] ابن خلدون، تأريخ، تحقيق زكار وشحادة.

[4] Ibn Khaldoun, *Les Prolégomènes*, trans. McGuckin de Slane; Ibn Chaldun, *Ausgewählte Abschnitte aus der Muqaddima*, trans. Schimmel; Ibn Khaldūn, *The Muqaddimah. An Introduction to History*, trans. Rosenthal; Ibn Khaldûn, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, trans. Rosenthal, abbreviated by Dawood; Ibn Khaldūn, *Buch der Beispiele. Die Einführung*, trans. Pätzold; Ibn Khaldoun, *Discours sur l'histoire universelle (Al-Muqaddima)*, trans. Monteil; Ibn Khaldûn: *Le Livre des Exemples. Tome I. Autobiographie Muquaddima*, trans. Cheddadi; Ibn Khaldun, *Die Muqaddima: Betrachtungen zur Weltgeschichte*, trans. Giese and Heinrichs.

[5] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق الشدادي.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق شبّوح وآخرين. فيُقتبس عادةً الإصدار الشامل الأول المنشور ١٨٦٧ في بولاق، تم إعادة نشره في بيروت من ١٩٥٦ إلى ١٩٦١ عند دار الكتاب اللبناني في ٧ مجلدات.

[7] Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères*, trans. McGuckin de Slane.

الأولى من المقدمة وكذلك فصول معينة عن تاريخ المغرب. واستُكمل تاريخه الشامل في السنوات التالية بشكل مضطرد وتم تنقيحه بشكل متكرر خلال مرحلة حياته اللاحقة في مصر.[8]

المحتويات والإطار التاريخي للمصدر

[٩] يقدم لنا ابن خلدون في مقتطف المصدر المذكور رؤيته للأحداث التي سبقت الحملة الصليبية على تونس بقيادة الملك الفرنسي لويس التاسع (حكمه ١٢٢٦–١٢٧٠م).[9] يطلعنا تقريره على الكثير من حقول الموضوعات المختلفة، ومن بينها المصطلحات المستخدمة بحق الحكام الأوروبيين المسيحيين وعرضه للويس ودوافعه، وأخيرا دور الدبلوماسية والتجارة في التفاعل مع ظاهرة الحملات الصليبية.

[١٠] في البداية يشير ابن خلدون إلى انتهاء الحملة الصليبية المصرية للويس التاسع (١٢٤٨–١٢٥٦م) والتي انتهت بهزيمة جيش الحملة الصليبية الفرنسي ووقوع الملك في الأسر المصري. وقد ارتبط إطلاق سراحه بدفع فدية كبيرة وكذلك التعهد بعدم القيام بأي حملات أخرى ضد العالم الإسلامي.[10] وقد نقض لويس هذا العهد عندما توجه إليه بعض أدعياء التجار من مملكته طالبين مساعدته، حيث ادعوا أن رجلًا يُدعى الليباني قد اقترض منهم ٣٠٠ دينار[11] ولم يردها لهم أبدًا. وبعد أن فقد هذا الرجل الذي يشرح ابن خلدون مصيره السياسي في موضع آخر،[12] حظوة السلطان توجه التجار إلى السلطان أو بالأحرى الخليفة الحفصي أبي عبد الله محمد المستنصر (حكمه ٦٤٧–٦٧٥هـ/١٢٤٩–١٢٧٧م)، لكنهم لم يستعيدوا مالهم نظرًا لعدم وجود أدلة كافية يستندون إليها، مما جعلهم يطلبون من لويس التاسع غزو تونس التي كانت تعاني في ذلك الحين من مجاعة.

[١١] حسب المصدر فإن لويس التاسع توجه بعدها إلى العديد من الحكام الأوروبيين المسيحيين وروّج ناجحا في ذلك للحصول على دعمهم في الحملة الصليبية. وفي هذا السياق تُنسب للويس استنادًا إلى "لغة الإفرنج" لألقاب الملكية "الفرنسيس" (le Français؟) وكذلك "روا فرنس" (Roi de France)، بينما يُعرّف هو نفسه بـ"سان لويس بن لويس"، أي "القديس [!] لويس"، ابن لويس"، الذي كان "طاغية الإفرنج" وعمل "ملكًا لفرنسا" (في المصدر: "ملك إفرنس"). ويذكر ابن خلدون بهذا معلومات دقيقية عن لقب الحاكم الفرنسي ويفرق هنا بشكل جزئي بين "الفرنجة" كمصطلح عام يُطلق على المسيحيين الأروبيين من ناحية، و"فرنسا" بصفتها منطقة حكم مستقلة تتبع العالم الفرنجي من ناحية أخرى. وتمثل هذه التفرقة التي بدأت كما هو الحال مع تحديث المصطلحات التي كانت تُطلق حتى ذلك الحين على الأماكن ومناطق الحكم المحددة في غرب أوروبا إحدى السمات المميزة لكتابة التاريخ العربي الإسلامي في فترة الحروب الصليبية المتأخرة.[13]

[١٢] حسب رواية ابن خلدون، تسب استنفار لويس للحملة الصليبية في حدوث فزع لدى الحاكم الحفصي ودفعه إلى العديد من الإجراءات الوقائية؛ حيث أرسل على وجه الخصوص وفداً إلى لويس التاسع محملًا بثمانين ألفاً دينار من الذهب وكلفه باختبار خططه وإثناءه عن نيته بغزو تونس عن طريق دفع الأموال له عند الضرورة، فقبض لويس التاسع المال، لكنه ظل مصرًا على عزمه. وحسب الرواية فقد تزامنت المطالبة الساخطة برد المال من قبل الرسول الحفصي هنا بوصول وفدٍ آخر من مصر المملوكية. وطُلب

[8] Talbi, Ibn Khaldūn, pp. 825–831; Singer, Ibn Ḫaldūn, pp. 316–317; al-Šaddādī, Muqaddima, pp. XXVII–XXXI.
[9] Richard, Ludwig IX., cols. 2184–2186.
[10] Eddé, Saint Louis, pp. 65–92.

[11] يفترض محفوظ، تراجم، الفصل ٤٩٣، ص ٢٢٥، مبلغ ٣٠٠ ألف دينار.

[12] ابن خلدون، تاريخ، تحقيق زكار وشحادة، ج ٦، ص ٤١٩–٤٢٠.

Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères*, trans. McGuckin de Slane, vol. 2, p. 350–351.

[13] König, *Arabic-Islamic Views*, pp. 211–228 (“From the Franks to France”), pp. 268–299 (“The Documentary Effects of Expansionism”; “New Players on the Mediterranean Scene”).

من مبعوثهم الجلوس فأبي، وقام بدلًا من هذا بإلقاء قصيدة للشاعر الأيوبي أبي [في الواقع ابن] مطروح (توفي ٦٤٩هـ-١٢٥١هـ).[14] وفي هذا الشعر يتم تذكير لويس التاسع بفشل الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨-١٢٥٤م) وتحميله المسؤولية عن موت وأسر الكثير من المسيحيين. كما يُنذر من إضمار النوايا للعدوان مرة أخرى لأن سجنه القديم في انتظاره. لكن لويس، حسب ما يقول ابن خلدون، لم يصبه الخوف جراء هذا الشعر، بل إنه على النقيض من هذا أخذ يبرّر للتوجه نحو تونس. وبالتالي فقد صرف الرسل وجمع حشده للتوجه بأساطيله إلى هناك، حيث استطاع أسطول لويس نهاية يوليو/تموز ١٢٧٠م الإنطلاق إلى سردانية أو صقلية. وفي الوقت نفسه استعدت المدن الساحلية بشمال إفريقيا بقيادة الحاكم الحفصي للهجوم.

[١٣] مقتطف المصدر المقتبس أعلاه هو جزء من فصل بعنوان "الخبر عن طاغية الإفرنجة ومنازلته تونس في أهل نصرانيته" الذي يتناول مقدمات ومسار ومآل الحملة الصليبية الثامنة. وهو في تحقيق زكار وشحادة جزء من المجلد السادس. فبعد أن تناول المجلد الخامس بالمجموعات الأتراك بالشرق الأوسط، يتناول المجلد السادس تاريخ المغرب بعد الغزوات التي تعرض لها في القرن الحادي عشر على يد بني هلال وبني سُليم.

[١٤] يبدأ الفصل نفسه بموجز تاريخي مختصر يتناول بالشرح زحف المسيحيين اللاتينيين الذين يُطلق عليهم هنا الإفرنج إلى منطقة البحر المتوسط منذ القرن الحادي عشر. ويتناول ابن خلدون في هذا الإطار بشكل أكثر تحديدًا الحملات الصليبية ويبدأ أولاً بالحديث عن النجاحات التي حققها الأيوبيون. ولعل تلك الشروحات العامة عن صعود نجم الإفرنج وعن الحملات الصليبية في العصر الأيوبي هي التي نقلها ابن خلدون حسب قوله من كتاب المؤرخ العراقي إبن الأثير المتوفى عام ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م. لكن هذا لا يمكن أن يسري على سرده لأحداث الحملة الصليبية المصرية والتونسية التي قام بها لويس التاسع، لأنها لم تحدث إلا بعد وفاة ابن الأثير. ويلي مقتطف المصدر المقتبس أعلاه شرحٌ لأحداث الحملة الصليبية في تونس، حيث يحتوي بشكل خاص على تكهنات بشأن أسباب وفاة لويس وشروحات عن إبرام معاهدة سلام. وتستند هذه الشروحات حسب ابن خلدون بشكل جزئي على إيضاحات جدّه.[15]

[١٥] توجد المعلومات المتعلقة بالظروف السابقة للحملة الصليبية التي قام بها لويس إلى تونس وكذلك مسار الحملة في مصادر أخرى بالطبع، لكن تقرير ابن خلدون يحتل في الجانب العربي أهمية خاصة نظرًا لقربه المكاني والزماني المذكور من خلال معاصرة جدّه للأحداث ، وكذلك بفضل تفاصيله أيضًا.[16] أما على الجانب اللاتيني فتقدم الرسائل المؤلفة في سيرة لويس التاسع وكذلك العديد من الأعمال التاريخية المزيد من المعلومات. ومن بينها سيرة لويس التاسع لجوفروا دي بوليو (Geoffrey de Beaulieu، توفي حوالي ١٢٧٤م)،[17] وكذلك العمل المطابق له تقريبًا — فيما يتعلق بالمواضع المهمة هنا —"أعمال القديس لويس" (Gesta Sancti Ludovici)

---

[14] بالنسبة إلى أبو مطروح، وإسمه الصحيح هو ابن مطروح، أنظر: Rikabi, Ibn Maṭrūḥ, pp. 875–876. فقول ابن مطروح المقتبس في تاريخ ابن حلدون هو منشور في ديوان ابن مطروح، تحقيق نصّار، أنظر أيضاً: Talib, A New Source, pp. 115–141.

[15] ابن خلدون، تاريخ، تحقيق زكار وشحادة، ج ٦، ص ٤٢٦: "حدثني أبي عن أبيه رحمهما الله قال (...)."

[16] عرض المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، السلوك، تحقيق عطاء، ج ١، ص ٤٦٠-٤٦٢ اختصار لتقرير ابن خلدون كما يبدو. فتتبع المقريزي نفس الترتيب الزمني ويذكر محاولة ثنى لويس التاسع عن الحملة الصليبية بدفع ٨٠ ألف دينار، ولكن لايتحدث مثلا عن نزاع بين التجار والليالي. ينتهى هذا الفصل بقصيدة تونسية موجهة إلى لويس الميت. فيها تسمى مصر ب"أخت تونس". توجد بعض المعلومات الجديدة أكثر إبتكارا عن هوية التجار ونزاعهم مع السلطات الحفصية عند اليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، عام ٦٦٩، ض ٤٥٤-٤٥٥.

[17] Godefridus de Bello loco, *Vita Ludovici noni*, ed. Naudet and Daunou (RHGF 20), pp. 1–26, here: 21–22; Translation: *The Sanctity of Louis IX*, trans. Field, comm. Gaposchkin and Field, cap. 40–42, pp. 116–119.

لمؤلفه وليام دي نانجيس (Guillaume de Nangis، توفي حوالي ١٣٠٠م)،[18] وكذلك حولية بريما سان دوني (Chronique de Primat، توفي بعد ١٢٧٧م) في الترجمة الفرنسية التي قام بها جان دي فينياي (Jean de Vignay، توفي بعد ١٣٤٠م)،[19] والحولية الصقلية لمؤلفها سابا مالاسبينا (Saba Malaspina، توفي ١٢٩٧م)[20] وكذلك تكملة حولية ماثيو الباريسي (Matthaeus Parisiensis، توفي ١٢٥٩م).[21] وقد أُثري هذا التوثيق أيضًا من خلال تدوينات في سجلات دواوين المملكة الأنجوية في صقلية[22] وكذلك معاهدة الصلح التي أبرمت في الخامس من ربيع الثاني ٦٦٩هـ / الموافق ٢١ من نوفمبر ١٢٧٠م مع تونس في نسختها العربية،[23] والتي يُعتقد أنها سبقها ببضعة أيام نسخة لاتينية أو فرنسية تعتبر مفقودة اليوم.[24]

[١٦] يختلف وصف ابن خلدون للأحداث بوضوح عن هذا العرض المسيحي لها، لأنه بالطبع يعرض لويس التاسع وقيامه بالحملة الصليبية بشكل سلبي وبالتالي غير مبرر. وبالرغم من أن موقف المصادر المسيحية تجاه مشروع الحملة الصليبية أكثر إيجابية من حيث المبدأ، إلا أنه يتضح أنها يمكن أن تحتوي على نقد للملك وخططه أيضًا.

ربط السياق والتحليل والتفسير

[١٧] من النظرة العامة على هذه المصادر تنتج صورة معقدة للتشابكات السياسية والاقتصادية وكذلك الشخصية أيضًا في منطقة حوض البحر المتوسط في أواخر القرن الثالث عشر، وفي مقدمتها دوافع لويس التاسع ودوافع بطانته ودور أخيه شارل الأول أنجو (حكمه ١٢٦٦–١٢٨٢م)،[25] وخلط الحملة الصليبية مع العلاقات التجارية المكثفة عبر البحر المتوسط في الجزء الغربي منه ، وأخيرًا الدبلوماسية الرسمية المرتبطة بذلك وغيرها من أشكال التواصل المسيحي الإسلامي الأخرى.

[١٨] يرى ابن خلدون المتسببَ في الحملة الصليبية في نزاع وقع بين تجار أوروبيين مسيحيين وعامل حفصي يُدعى اللّياني. وكان قد تم تنصيبه بعد ارتقاء وظيفي سريع ليصبح المسؤول عن الإدارة المالية للولايات، لكنه خلق لنفسه الكثير من الأعداء بسبب جشعه ووقع بالتالي ضحية لإحدى المكائد. وقد أُجبر تحت وطأة التعذيب على دفع الكثير من الأموال ثم أُعدم في النهاية، من المحتمل على يد قائد المرتزقة الأوربيين–المسيحيين (في المصدر: "كبير الموالي من العلوج") الذين كانو يقاتلون في صفوف الحفصيين. كما تم الحط من شأن أسرته وأصدقائه وقتلوا بأمر من السلطان الحفصي.[26] وحسب رواية ابن خلدون، فقد امتنع السلطان الحفصي عن

[18] Guillelmus de Nangiaco, *Gesta sanctae memoriae Ludovici regis Franciae*, ed. Naudet and Daunou (RHGF 20), pp. 309–461, here: 446–447.

[19] *Chronique de Primat traduite par Jean Vignay*, ed. Wailly and Delisle (RHGF 23), pp. 1–105, here: cap. 24, p. 39, cap. 28, p. 44.

[20] Saba Malaspina, *Chronica sive Liber gestorum regum Siciliae*, ed. Koller and Nitschke (MGH SS 35), pp. 89–375, here: lib. V, cap. 1, pp. 228–229; trans. Lower, *The Tunis Crusade of 1270*, p. 144; ital. trans. *Cronisti e scrittori sincroni della dominazione normanna nel Regno di Puglia e Sicilia*, ed. Del Re, pp. 201–408, here: 293–294.

[21] Matthaeus Parisiensis, *Historia major*, ed. Wats, a. 1270–1271, pp. 882–883. Translation: Matthew Paris, *English History*, trans. Giles, vol. 3, a. 1270, pp. 374–375, 377.

[22] Mas Latrie, *Traités de paix*, pp. 156–157, 382–383.

[23] Mas Latrie, *Traité de paix*, pp. 93–96, Silvestre de Sacy, Mémoire sur le traité, p. 461–467 (*français*), 469–471 (العربية).

[24] Mas Latrie, *Traités de paix*, p. 93 FN 1.

[25] Herde, Karl I. v. Anjou, col. 983.

[26] ابن خلدون، تاريخ، تحقيق زكار وشحادة، ج ٦، ص ٤١٩–٤٢٠. أنظر أيضاً ملخص عدة مصادر عن اللولياني في محفوظ، تراجم، فصل ٤٩٣، ص ٢٢٣–٢٢٦. عن المرتزقة الأوربيين المسيحيين وخاصة الكتالونيين في تونس في أواخر القرن الثالث عشر، أنظر:

Barton, Traitors, p. 33; Dufourcq, *L'Espagne catalane*, pp. 101–104.

دفع المبلغ الذي يدين به الليباني للتجار الأوروبيين المسيحيين وقدره ٣٠٠ دينار[27]، وبالتالي اضطر هؤلاء للتوجه إلى لويس التاسع ومطالبته بالزحف لغزو تونس.

[١٩] توجد رواية أخرى لقصة الصراع هذه بين تجار أوروبيين مسيحيين وعمال الحفصيين في العمل التاريخي لليونيني (توفي ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، حيث يقول أن تجارًا من الإفرنجة قد سكّوا "دراهم مغشوشة" تشبه نقود "صاحب تونس"، وبالتالي اتهمت السلطات الحفصية "أهل الجنوية" وقامت بـ"استئصال أموالهم وحبسهم". وبالتالي قام الجنويون بالتظلم إلى الملك الفرنسي (ريدفرانس) وأمدوه بالمال وبذلك خلقوا تحالفًا للهجوم على تونس.[28]

[٢٠] وفقًا لابن خلدون، فإن الملك الفرنسي لم يعد يقف فقط خلف التجار؛ بل يبدو أنه كان من أسباب تشجيعه على قراره أيضًا أن تونس كانت ضعيفة في تلك الفترة بسبب مجاعة بها. وكانت لخطة الحملة الصليبية للويس عواقب سياسية اقتصادية أيضًا، حيث منع السلطان الحفصي بسببها التجار الأوروبيين المسيحيين في تونس من حقوقهم المكفولة تعاقديًا (وانقبض تجار النصاري عن تعاهد بلاد المسلمين). ويمكن فهم هذه المقولة في ضوء كون تونس كانت تمثل في نهاية القرن الثالث عشر مركزًا تجاريًا مهمًا في البحر المتوسط الغربي.[29] وكان حاكمها في ثلاثينيات وأربعينات القرن الثالث عشر على اتصال مباشر بالبابوية[30] وأقام مع العديد من المجتمعات الأوروبية–المسيحية علاقات تجارية[31]، حيث نُظمت هذه قانونياً في شكل معاهدات عام ١١٨٦ و١٢٢٩ أو ١٢٣٤ و١٢٣١ و١٢٣٦ و١٢٥٠ و١٢٥١ و١٢٦٤م،[32] وتم تجديدها بعد نهاية الحملة الصليبية في عام ١٢٧٠م مرات كثيرة.[33]

[٢١] لكن من خلال ترابط ابن خلدون بين الحملة إلى تونس والحملة الصليبية على مصر (١٢٤٨–١٢٥٦م)، وإشارته فضلاً عن ذلك إلى الدعم البابوي للعملية الذي يتمثل بشكل خاص في السماح باستخدام أموال الكنيسة، يوضح أنه يجب تنصيف الحملة أيضًا في الإطار الأيديولوجي للحرب الأوروبية المسيحية المدعومة كنسيًا ضد المجتمعات الإسلامية.

[٢٢] توضح الحولية المترجمة من قبل جان دي فينياي (توفي ١٣٤٠م) إلى الفرنسية لمؤلفها بريما سان دوني (توفي ١٢٧٧م) دافع لويس التاسع لخوض حرب صليبية من منظور مختلف تمامًا؛ فهو يؤكد بشكل خاص خجل لويس وإيلام ضميره له (le remors de sa conscience) لأنه لم يساعد الكنيسة من خلال حملته الصليبية على مصر (que ele n'avoit fait d'onneur ne de proufit à l'Eglise de Jhesu Christ ne à la Terre sainte). وألحق الضرر بفرنسا

---

[27] يفترض محفوظ، تراجم، الفصل ٤٩٣، ص ٢٢٥، مبلغ ٣٠٠ ألف دينار.

[28] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج ٢، عام ٦٦٩، ض ٤٥٤–٤٥٥.

[29] Jehel, Tunis, cols. 1094–1095; Sebag, Tūnis.

[30] عن تبادل الرسائل مع الباباوات غريغوري التاسع (عام ١٢٣٥) وإنوسنت الرابع (عام ١٢٤٦) أنظر:

Mas Latrie, *Traités de paix*, p. 376; König, Phase experimenteller Diplomatie, pp. 15–42; Lupprian, *Beziehungen*, pp. 22–24, 139–140, 176–178.

[31] هذه العلاقات الاقتصادية مذكورة في رسائل المتبادلة مع بيزا (١١٥٧، ١٢٣٧)، وفي قانون تصدير النبيذ لمدينة مرسيليا (١٢٢٨)، وفي ملفات جنوة حول العلاقات التجارية (١١٥٥–١١٦٤، ١٢٥١)، وفي رسالة فريدريك الثاني الذي يذكر العلاقات التجارية بين جنوة والبندقية وتونس (١٢٤٠). أنظر:

Mas Latrie, *Traités de paix*, pp. 377, 379–380, 382.

[32] عن معاهدات السلام مع بيزا (١١٨٦، ١٢٢٩ أو ١٢٣٤، ١٢٦٤)، وجنوة (١٢٣٦ و١٢٥٠)، ومملكة صقلية (١٢٣١) والبندقية (١٢٣١ و١٢٥١)، أنظر:

Mas Latrie, *Traités de paix*, pp. 377–378, 380, 381, 384.

[33] عن معاهدات السلام مع فرنسا (١٢٧٠)، البندقية (١٢٧١)، مملكة تاج أراغون (١٢٧١)، جنوة (١٢٧٢)، ومملكة ميورقة (١٢٧٨)، أنظر:

Mas Latrie, *Traités de paix*, pp. 379–380, 384, 386.

(honte et de damage et de reprouche au royaume de France). أما القرار بعدم التوجه إلى الأرض المقدسة، بل إلى تونس، فيتم اتخاذه هنا بالاتفاق مع أعيانه (لقبهم: البارون) المتفاجئين في البداية بالأمر، لكن دون ذكر الأسباب.[34]

[٢٣] من ناحية أخرى يدعي جوفروا دي بوليو (توفي حوالي ١٢٧٤م) بأن لويس التاسع وصل في إطار عملية تبادل الرسل مع السلطان الحفصي إلى القناعة بأن هذا مستعد للتحول إلى المسيحية،[35] إذا سنحت الفرصة التي لا تعرضه لثأر الساراسينيين وتمكنه بالحفاظ على شرفه. وقد رأى لويس التاسع هنا الفرصة سانحة لإعادة مجد العصور الزاهية للعصر المسيحي القديم المتأخر في شمال إفريقيا مرة أخرى. وأنه وصل إلى نتيجة أن ظهور جيش مسيحي كبير أمام تونس سوف يمنح السلطان الحفصي الفرصة التي يتمناها لإعتناق المسيحية دون فقدانه لشرفه وبالتالي مواصلة حكم المملكة بصفته مسيحيًا. فإن رفض الحاكم التحول للمسيحية، فإن تونس وضواحيها ستظل غنيمة سهلة يمكن كسب الكثير من الثروات منها، لأن المدينة لم تتعرض للنهب لفترة طويلة. ويمكن أن تُستعمل هذه الأموال لاحقًا لفتح الأرض المقدسة. كما بدا للأعيان (لقبهم: البارون) من جهة أخرى أن الهجوم على تونس ذو جدوى، لأنه تم من هناك بانتظام تقديم دعم عسكري في شكل خيالة وجنود مترجلين وأسلحة إلى سلطان القاهرة (الأيوبي سابقا، والمملوكي حاليا)، الذي يصعب من استعادة الأرض المقدسة.[36]

[٢٤] تقدم سجلات شارل الأول أنجو معلومات إضافية. حيث تولى أخو لويس التاسع بعد هلاك سلاسة شتاوفن (Staufen) عام ١٢٦٦م الحكم على ممتلكات سلاسة شتاوفن في جنوب إيطاليا. وتبين محتويات السجل أنه كان يُنتظر من جانب حاكم المملكة الأنجوية عام ١٢٦٨م إتاوة من تونس، لكنها لم تُدفع.[37] أما بعد الحملة الصليبية فقد سُجل أن شارل الأول أنجو تلقى هذه الأموال من جديد.[38]

[٢٥] يأتي شرح تكميلي في الحولية الصقلية لسابا مالاسبينا (توفي ١٢٩٧ أو ١٢٩٨م): حيث يفرق بين دوافع لويس التاسع و دوافع شارل الأول أنجو الذي بحث، مُستغلاً أخيه، عن الوصول لهدفه "من خلال قوة غريبة" (*virtute aliena*) بطلب إتاوة من

---

[34] *Chronique de Primat traduite par Jean Vignay*, ed. Wailly and Delisle (RHGF 23), cap. 24, p. 39, cap. 28, p. 44.

[35] Kedar, *Crusade and Mission*, pp. 161–169; Siberry, Missionaries and Crusaders.

[36] Gaufredus de Bello loco, *Vita Ludovici noni*, ed. Naudet undDaunou (RHGF 20), pp. 21–22: “Siquidem antequàm Dominus Rex hanc crucem ultimam assumpsisset, multos nuncios receperat à rege Tunicii, et similiter Rex noster plures nuncios remiserat ad eumdem. Dabatur etenim sibi a fide dignis intelligi, quod dictus rex Tunicii bonam voluntatem ad fidem chrstianam haberet, et valde de facili posset fieri christianus, dummodo occasionem honorabilem inveniret; et quod salvo honore suo, et absque metu Sarracenorum suorum hoc complere valeret. Unde Rex catholicus cum multo desiderio quandoque dicebat: ‘O si possem videre, quod fierem tanti filioli compater et patrinus!’ (…) Desiderabat quoque devotissime rex catholicus, ut christiana fides, quæ tempore beati Augustini, et aliorum orthodoxorum doctorum in Africa, et maxime apud Carthaginem, tam ab antiquo eleganter floruerat, nostris temporibus reflloresceret et dilataretur ad honorem et gloriam Jesu Christi. Cogitavit itaque, quod si tantus exercitus tamque famosus apud Tunicium subito applicaret, dictus rex Tunicii vix posset apud Sarracenos suos tam rationabilem occasionem habere suscipiendi baptismum, videlicet ut per hoc posset mortem evadere tam sui ipsius, quam eorum qui secum vellent fieri christiani: et si etiam regnum suum sibi pacifice remaneret. (…) Præterea Regi dabatur intelligi, quod si omnino prædictus rex nellet fieri christianus, civitas Tunicii erat valde facilis ad capiendum, et per consequens tota terra. Suggerebatur insuper regi, quod civitas illa plena erat argento et auro, ac divitiis infinitis: ut pote quæ a multis retro temporibus a nullo fuerat expugnata. Unde sperabatur quod si, Deo volente, dicta civitas a christiano exercitu caperetur, ex thesauris ibidem inventis posset acquisitioni et restaurationi Terræ sanctæ multum efficaciter subveniri. Caeterum, cum de terra Tunicii venire soleret magnum subsidium soldano Babylonico tam in equitaturis, quam in armis et bellatoribus, in gravamen et nocumentum plurimum Terræ sanctæ; crediderunt barones nostri, quod si pestifera radix illa Tunnicii posset penitus extirpari, ex hoc Terræ sanctæ et toti christianitati utilitas maxima proveniret.”; Translation: *The Sanctity of Louis IX*, trans. Field, comm. Gaposchkin and Field, cap. 40–42, pp. 116–119.

[37] Mas Latrie, *Traités de paix*, p. 156, 382.

[38] Mas Latrie, *Traités de paix*, p. 157, 382.

تونس. وكانت هذه تُدفع من حاكم تونس حتى حينه من أجل ضمان نقل الغلال من صقلية إلى تونس وكذلك لتأمين المسافرين العرب والبربر من خطر القراصنة الصقليين. لكن تم الامتناع عن دفع هذه الأموال كرد فعل على القمع الدموي لتمرد وقع في صقلية، وهذا ما دفع شارل الأول أنجو، المحرض الفعلي على الحرب، بالعمل من خلال التلاعب بأخيه على شن حملة صليبية على تونس.[39]

[٢٦] من ناحية أخرى تنسب تكملة حولية ماثيو الباريسي للويس التاسع الهدف باستعادة الأرض المقدسة. وتُعرض تونس هنا كعائق للرحلة يجب إخضاعها لأجل تسهيل الحملات الصليبية. ويتضمن عرضه لمعاهدة السلامة المبُرمة وجود دوافع أخرى للحملة؛ فحسب رواية هذه الحولية فإن المعاهدة نصت على تحرير الأسرى المسيحيين وضمنت وحرية موعظة الدومنيكان والفرنسيسكان في الأديرة بالمملكة الحفصية وكذلك حرية التحول إلى المسيحية. كما وثّقت بالإضافة إلى هذا علاقة الإتاوة للمملكة الحفصية تجاه صقلية. ومن المثير أن غرق أسطول صقلية في رحلة العودة تم تفسيره على أنه عقوبة إلهية للمذنب شارل الأول أنجو الذي بذلك لا يرتبط اسمه في هذه العملية بدور جيد.[40]

[٢٧] تُؤكد بعض المعلومات المذكورة في تكملة حولية ماثيو الباريسي من خلال النسخة العربية المتوفرة لمعاهدة السلام. وهي تلزم الجانب الحفصي بالحماية المنصوص عليها بالفعل في معاهدات سابقة بحماية التجار المسيحيين ومؤسساتهم في المملكة الحفصية (البند الرابع والسابع) مقابل توفير حماية مماثلة من الجانب الأوروبي المسيحي (البند الأول حتى الثالث). كما تسمح المعاهدة ببناء كنائس وأديرة في أماكن مخصصة، وتبيح أداء الموعظة فيها (البند السادس) وتأمر بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين (البند الثامن). كما تلزم القوات المسيحية بالانسحاب (البند العاشر) والسلطان الحفصي بدفع مائتي وعشرة آلاف أوقية من الذهب (البند الثاني عشر) ورد الإتاوة المستحقة عن السنوات الخمس الأخيرة وكذلك بدفع إتاوة سنوية ضعفَ المبلغ الذي كان يُدفع إلى فريدريك الثاني (Fridericus II.) سابقا (البند العشرين). لكن يظل من غير المعروف بداية إلى أي مدى يمكن تفسير هذه التأثيرات للحملة الصليبية كدوافع للقيام بالحملة على تونس.[41]

[٢٨] يتضح من خلال هذه المقابلة أن رواية ابن خلدون يجب أن توضع جنبًا إلى جنب مع مجموعة كاملة من العوامل التي قادت الحملة الصليبية إلى تونس. ومن اللافت أن كتابة التاريخ المسيحية لا تذكر شيئًا عن الصراع الداخلي بين سلطان الحفصيين وعامله الليابي ولا عن التوترات بين التجار الأوروبيين المسيحيين وسلطان الحفصيين. ففي عرضها للأحداث تلعب مشاعر لويس والآمال المنعقدة على التحول الديني والغنيمة بشكل خاص وإعتبارات إستراتيجية لاستعادة الأرض المقدسة وكذلك الأخ المتآمر دورًا فارقًا. ويتم تأكيد أهمية شارل الأول أنجو من خلال التوثيق الدبلوماسي الذي تحتل فيه مبالغ الإتاوة المطلوبة مكانة عالية. أما كون معاهدة السلام لعام ١٢٧٠م قد منحت المسيحيين الأوروبيين في تونس حقوقًا أكبر من ذي قبل، فهو أمر يمكن إنكاره بالنظر إلى المعاهدات السابقة لها. أما الحق المذكور لدى وليام دي نانجيس وفي تكملة حولية ماثيو الباريسي بحرية التحول إلى المسيحية فلا يُذكرُ في نص المعاهدة العربي الذي لا يزال متوفرًا.[42] وبالتالي لم تكن هناك ضرورة لشن حملة صليبية من أجل دعم الحقوق الأوروبية المسيحية في المملكة الحفصية.

---

[39] Saba Malaspina, *Chronica*, ed. Koller and Nitschke (MGH SS 35), lib. V, cap. 1, pp. 228–229; Lower, *The Tunis Crusade of 1270*, p. 144; *Cronisti e scrittori*, ed. Del Re, pp. 293–294; Dunbabin, *Charles I of Anjou*, pp. 97–98, 100, 195–197.

[40] Matthaeus Parisiensis, *Historia major*, ed. Wats, a. 1270–1271, pp. 882–883; Matthew Paris, *English History*, trans. Giles, vol. 3, a. 1270, pp. 374–375, 377.

[41] Silvestre de Sacy, Mémoire sur le traité, pp. 461–467 (*français*), pp. 469–471 (العربية); Mas Latrie, *Traité de paix*, pp. 93–96.

[42] Matthaeus Parisiensis, *Historia major*, ed. Wats, a. 1270–1271, pp. 882–883; Matthew Paris, *English History*, trans. Giles, vol. 3, a. 1270, pp. 374–375, 377; Guillelmus de Nangiaco, *Chronicon*, ed. Naudet and Daunou (RHGF 20), pp. 543–582, here: a. 1270, p. 563.

[٢٩] يختلف تقرير ابن خلدون عن ذلك تقرير المصادر المسيحية في نقطة أخرى مهمة أيضًا، وهي عرضه للاتصال الدبلوماسي المسبق للحملة الصليبية بين السلطان الحفصي والملك الفرنسي. فبالرغم من أن كلاً من جوفروا دي بوليو وباللفظ نفسه وليام دي نانجيس يذكران أيضًا مفاوضات، إلا أنها ذات طابع مختلف تمامًا.

[٣٠] لا يرسل السلطان الحفصي وفقًا لرواية ابن خلدون رسولًا إلى لويس التاسع إلا بعد أن يسمع عن استعداداته لحملة صليبية. وكان الهدف من هذه البعثة هي إثناء الملك عند الضرورة من خلال دفع أموال له عن خططه. ويقدم الملك نفسه في هذا الإطار على أنه كاذب مُحتال يأخذ المال أولاً، ثم يصر على خططه ويتصرف وكأنه لم يحصل أبدًا على أموال. إخلافه لتعهده بعدم العدوان أبدًا على بلاد ذات القيادة الإسلامية يبرره بشكل وطريقة "بما يُسمع عنهم من المخالفات". وقد تم الثأر في النهاية من الظلم الذي عاناه الرسل في سرد ابن خلدون من خلال قصيدة الرسول المصري، الذي يذكّرُ لويس التاسع بمهانته السابقة، لكن بدون أن يحقق بهذا شيئًا أيضًا.

[٣١] لا يحتوي أيٌّ من المصادر المسيحية على موقف مشابه؛ فبالرغم من أن جوفروا دي بوليو ووليام دي نانجيس يذكران الكثير من الرسل الذين استقبلهم لويس التاسع من قبل "ملك تونس" وأرسلهم إليه أيضًا (multos nuncios receperat a rege Tunicii, et similiter Rex noster plures nuncios remiserat ad eumdem)، لكن لا تحدث هنا مواجهة أبدًا، بل يبدو أن التواصل كان يتميز بالثقة حتى أن الملك أخذ انطباعًا (dabatur etenim sibi a fide dignis intelligi) بأن السلطان الحفصي ربما يريد فعلًا التحول إلى المسيحية. ووفقًا لكلا المؤلفين فقد شهد رسل السلطان الحفصي في إحدى زياراتهم تعميد يهودي شهير في كنيسة القديس ديونيسيوس (Dionysios). ويزعمان في هذا السياق أن الملك استدعى الرسل للحضور إليه وادعى لهم بطريقة كاثوليكية خالصة (verbum plane catholicum perfectione fidei et charitatis) بأنه يفضّلُ أن يقضي بقية حياته في سجن ساراسيني إذا تحول فقط السلطان الحفصي إلى المسيحية.[43] ويُعتقد أن هذا السرد قد تم تلفيقه من قبل المؤلفين، من ناحية من أجل شرعنة الحملة الصليبية، ومن ناحية أخرى من أجل تأكيد تدين لويس التاسع وإخلاصه في إنقاذ الأرض المقدسة. ومما يؤكد هذا أن سيرة جوفروا دي بوليو استُخدمت في النقاش المحتدم بعد وفاة لويس التاسع بقليل بشأن تقديسه (١٢٧٢–١٢٩٧م) كأول "وثيقة ثبوت" ومثلت بالتالي حجر الأساس لعملية التقديس.[44]

[٣٢] من خلال مقابلة المصادر الإسلامية والمسيحية لعرض الأحداث السابقة للحملة الصليبية في تونس يتضح بشكل بارز مدى توظيف المعارف والأفق المعرفية المختلفة هنا وإدراك سياقات أخرى في كلا الطرفين ومعايشة الأحاسيس المختلفة وأيضًا وبشكل مؤكد للغاية اتباع مقاصد مختلفة. فتوضح العروض المختلفة، المتناقضة إلى حد ما، للعلاقات الاقتصادية والسياسية، والشخصية المرتبطة بالحملة الصليبية إلى أي مدى وصل تشابك السواحل الشمالية والجنوبية للحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل وثيق مع بعضها البعض في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. إن تقرير ابن خلدون ذو أهمية، لأنه يعطينا منظورًا غنيًا بالحقائق وكذلك مثيراً للعواطف عن أحداث الحملة الصليبية ومقدماتها. فهو يقدم لنا على خلاف الكتابة التاريخية المسيحية مؤشرًا على أنه بجانب المثل العليا التي تبنى عليها لويس التاسع حملته الصليبية ومكايد شارل الأول أنجو، ربما ساهمت أيضًا التوترات بين التجار الأوروبيين المسيحيين والعمال المحليين بالمملكة الحفصية في إطلاق الحملة الصليبية. وعلى خلاف المصادر المسيحية التي وصل بها لأمر لأن ترى لويس التاسع، كما هو الحال مع سابا مالاسبينا، في موقف الضحية تجاه أخيه، فإن ابن خلدون يصف الملك الفرنسي بأنه طاغية مخادع وجشع. ولم يتسبب هذا الملك فقط في خيبة أمل عميقة بالنسبة إلى الثقة التي مُنحت له من جانب المسلمين، بل أظهر

[43] Godefridus de Bello loco, *Vita Ludovici noni*, ed. Naudet and Daunou (RHGF 20), pp. 21–22; Guillelmus de Nangiaco, *Gesta sanctae memoriae Ludovici regis Franciae*, ed. Naudet and Daunou (RHGF 20), pp. 446–447.
[44] Carolus-Barré, *Procès de canonisation*, p. 29.

من تصرفه بأنه ملكٌ ناقصٌ في مسؤليته تجاه أهل دينه. ويتضح في قصيدة شاعر السلطان أبو مطروح أو بالأحرى ابن مطروح التي نقلها إبن خلدون أن المسيح لم يقف وفق المنظور الإسلامي بجانب الصليبيين. وإشاراً إلى العدد الكبير من القتلى المسيحيين الذين يتحمل لويس التاسع المسؤولية عن موتهم، يقول الشاعر "ألهَمَكَ الله إلى مثلها | لعلّ عيسى منكم يستريح!"

(الترجمة: رجب محمد عبد العاطي)

اصدارات المصدر وترجماته

ابن خلدون، تأريخ، تحقيق سهيل زكار وخليل شحادة، ٨ مجلدات، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠-٢٠٠١، ج ٦، ص ٤٢٥-٤٢٦.

ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق ابراهيم شبّوح وآخرين، ١٤ مجلد، تونس: دار القيروان، ٢٠٠٦-٢٠١٣.

ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أسام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق لمجهول، بولاق: المطبعة المصرية، ١٨٦٧، وتم إعادة إصدار الكتاب في ٧ مجلدات في بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٦-١٩٦١.

Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères*, trans. William McGuckin de Slane, 4 vols, Algier: Imprimerie du gouvernement, 1854–1856, vol. 2, pp. 361–362 [*traduction française*].

Ibn Khaldun, *Narratio de expeditionibus Francorum in terras islamismo subjectas*, ed. Carolus Johannes Tornberg, Uppsala: Leffler & Sebell, 1840, pp. 110–111 (AR), pp. 115–117 (LAT) [*editio et versio latina*].

المصادر المقتبسة العربية

ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدّادي، ٥ مجلدات، الدار البيضاء: دار الفنون والعلوم والآداب، ٢٠٠٥.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطى، ٨ مجلدات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.

ابن مطروح، ديوان ابن مطروح، تحقيق حسين نصّار، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤.

اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣ مجلدات، حيدراباد: مطبعة ديرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤، ١٩٥٥، ١٩٦٠.

المصادر المقتبسة غير العربية

Chronique de Primat traduite par Jean Vignay, ed. Natalis de Wailly and Leopold Victor Delisle (RHGF 23), Paris: H. Welter, 1894, pp. 1–105.

Godefridus de Bello loco, *The Sanctity of Louis IX: Early Lives of Saint Louis by Geoffrey of Beaulieu and William of Chartres*, trans. Larry F, Field, comm. Marianne Cecilia Gaposchkin and Sean L. Field, Ithaca: Cornell University Press, 2014.

Godefridus de Bello loco, *Vita Ludovici noni*, ed. Joseph Naudet and Pierre-Claude-François Daunou (RHGF 20), Paris: Imprimerie royale, 1840, pp. 1–26.

Guillelmus de Nangiaco, *Chronicon*, ed. Joseph Naudet and Pierre-Claude-François Daunou (RHGF 20), Paris: Imprimerie royale, 1840, pp. 543–582.

Guillelmus de Nangiaco, *Gesta sanctae memoriae Ludovici regis Franciae*, ed. Joseph Naudet and Pierre-Claude-François Daunou (RHGF 20), Paris: Imprimerie royale, 1840, pp. 309–461.

Ibn Chaldun, *Ausgewählte Abschnitte aus der Muqaddima*, trans. Annemarie Schimmel, Tübingen: Mohr, 1951.

Ibn Khaldoun, *Discours sur l'histoire universelle (Al-Muqaddima)*, trans. Vincent Monteil, 3 vols, Arles: Sindbad, 1997.

Ibn Khaldoun, *Les Prolégomènes*, trans. William McGuckin de Slane, 3 vols, Paris: Imprimerie impériale, 1865–1868.

Ibn Khaldun, *An Arab Philosophy of History. Selections from the Prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332–1406)*, trans./comm. Charles Issawi, Cairo: American University of Cairo Press, 1992.

Ibn Khaldūn, *Buch der Beispiele. Die Einführung*, trans. Mathias Pätzold, Leipzig: Reclam, 1992.

Ibn Khaldun, *Die Muqaddima: Betrachtungen zur Weltgeschichte*, trans. Alma Giese und Wolfhart Heinrichs, München: C. H. Beck, 2011.

Ibn Khaldūn, *The Muqaddimah. An Introduction to History*, trans. Franz Rosenthal, 3 vols, Princeton: Princeton University Press, 1958, URL: http://www.muslimphilosophy.com/ik/Muqaddimah/ (access: 14 June 2022).

Ibn Khaldûn, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, trans. Franz Rosenthal, gekürzt hrsg. von N. J. Dawood, Princeton: Princeton University Press, 1989.

Ibn Khaldûn: *Le Livre des Exemples. Tome I. Autobiographie Muquaddima*, trans. Abdesselam Cheddadi, Paris: Gallimard, 2002.

Matthaeus Parisiensis, *Historia major. Juxta exemplar Londinense 1640, verbatim recusa; et cum Rogeri Wendoveri, Willielmi Rishangeri, authorisque majori minorique historiis, chronicisque mss, in Bibliotheca regia, collegii Corporis Christi Cantabrigiae, Cottoniáque, fidelitèr collata. Huic editioni accesserunt, duorum offarum merciorum regum; & viginti trium abbatum S. Albani vitae. Una cum libro additamentorum*, ed. William Wats, London: A. Mearne, 1684.

Matthew Paris, *English History. From the Year 1235 to 1273*, trans. J. A. Giles, 3 vols, London: Henry Bohn, 1854.

Saba Malaspina, *Chronica sive Liber gestorum regum Siciliae*, ed. Walter Koller und August Nitschke (MGH SS 35), Hanover: Hahn, 1999, pp. 89–375.

Saba Malaspina, *Cronisti e scrittori sincroni della dominazione normanna nel Regno di Puglia e Sicilia*, ed. Guiseppe del Re, Naples: Stamperia dell'Iride, 1868.

المراجع المقتبسة والتفصيلية العربية

الشدّادي، عبد السلام: مقدمة عامة للمحقق، المنشور في: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدّادي، ٥ مجلدات، دار البيضاء: دار الفنون والعلوم والآداب، ٢٠٠٥، ج ١، ص ٢١–٥٣.

العظمى، عزيز: ابن خلدون وتاريخيته، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٧.

محفوظ، محمد: تراجم المؤلّفين التونسيين، ج ٤، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥.

المراجع المقتبسة والتفصيلية غير العربية

Barton, Simon: Traitors to the Faith? Christian Mercenaries in al-Andalus and the Maghreb, 1100–1300, in: Roger Collins, Anthony Goodman (Hrsg.), *Medieval Spain: Culture, Conflict, and Coexistence*, Gordonsville/VA: Palgrave Macmillan, 2002, pp. 23–45.

Carolus-Barré, Louis: *Le Procès de canonisation de Saint Louis (1272–1297). Essai de reconstitution*, Rome: École Française de Rome, 1994.

Carra de Vaux, Bernard; Fahd, Toufic: Shiḳḳ, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 9 (1997), pp. 440–441, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6941.

Dufourcq, Charles-Emmanuel: *L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII^e^ et XIV^e^ siècles*, Paris: Presses Universitaires de France, 1966.

Dunbabin, Jean: *Charles I of Anjou. Power, Kingship and State-Making in Thirteenth-Century Europe*, London: Routledge, 1998.

Eddé, Anne-Marie: Saint Louis et la Septième Croisade vus par les auteurs arabes, in: *Cahiers de Recherches Médiévales* 1 (1996): *Croisades et idée de croisade à la fin du Moyen Age (XIII^e^-XV^e^ s.)*, pp. 65–92.

Fischel, Walter Joseph: *Ibn Khaldūn in Egypt. His Public Functions and His Historical Research, 1382–1406. A Study in Islamic Historiography*, Berkeley: University of California Press, 1967.

Gaposchkin, Marianne Cecilia: Louis IX, Crusade and the Promise of Joshua in the Holy Land, in: *Journal of Medieval History* 34 (2008), pp. 245–274.

Gaposchkin, Marianne Cecilia: *The Making of Saint Louis: Kingship, Sanctity, and Crusade in the Later Middle Ages*, Ithaca: Cornell University Press, 2008.

Hélary, Xavier: Les rois de France et la terre sainte de la croisade de Tunis à la chute d'Acre (1270–1291), in: *Annuaire-Bulletin de La Société de l'Histoire de France* (2005), pp. 21–104.

Hélary, Xavier: *La dernière croisade. Saint Louis à Tunis (1270)*, Paris: Perrin, 2016.

Herde, Peter: Karl I. v. Anjou. Kg. v. Sizilien, in: *Lexikon des Mittelalters* 5 (1999), cols 983–985.

Issawi, Charles: Preface, in: Ibn Khaldun, *An Arab Philosophy of History. Selections from the Prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332–1406)*, trans./comm. Charles Issawi, Cairo: American University of Cairo Press, 1992, pp. xi–xiii.

Jehel, Georges: Tunis, 3.: Die Zeit der Ḥafṣiden, in: *Lexikon des Mittelalters* 8 (1999), cols 1094–1095.

Jordan, William Chester: *Louis IX and the Challenge of the Crusade. A Study in Rulership*, Princeton: Princeton University Press, 1979.

Kedar, Benjamin Z.: *Crusade and Mission: European Approaches to the Infidels*, Princeton: Princeton University Press, 1984.

König, Daniel G.: Eine Phase experimenteller Diplomatie? Direkte päpstliche Kontakte mit der arabisch-islamischen Welt (ca. 1169–1251), in: Lukas Clemens, Michael Matheus, Hanna Schäfer (Hrsg.), *Christen und Muslime in der Capitanata im 13. Jahrhundert: Archäologie und Geschichte*, Trier: Kliomedia, 2018, pp. 15–42.

Le Goff, Jacques: *Saint Louis*, Paris: Gallimard, 1996.

Levi Della Vida, Giorgio; Fahd, Toufic: Saṭīḥ b. Rabīʿa, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 9 (1997), pp. 84–85, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_6663.

Longnon, Jean: Charles d'Anjou et la croisade de Tunis, in: *Journal des savants* [ohne Nummer] (1974), pp. 44–61.

Longnon, Jean: Les vues de Charles d'Anjou pour la deuxième croisade de saint Louis: Tunis ou Constantinople?, in: Louis Carolus-Barré, Association française pour les célébrations nationales (Hrsg.), *Septième centenaire de la mort de Saint Louis*, Paris: Les Belles lettres, 1976, pp. 183–195.

Lower, Michael: *The Tunis Crusade of 1270: A Mediterranean History*, Oxford: Oxford University Press, 2018.

Lower, Michael: Tunis in 1270: A Case Study of Interfaith Relations in the Late Thirteenth Century, in: *The International History Review* 28/3 (2006), pp. 504–514.

Lower, Michael: Conversion and St Louis's Last Crusade, in: *Journal of Ecclesiastical History* 58/2 (2007), pp. 211–231.

Lupprian, Karl-Ernst: *Die Beziehungen der Päpste zu islamischen und mongolischen Herrschern im 13. Jahrhundert anhand ihres Briefwechsels*, Vatikanstadt: Biblioteca Apostolica Vaticana, 1981.

Mas Latrie, Louis de: *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, 2 vols, Paris: Henri Plon, 1866, 1872.

Mollat du Jourdin, Michel: Le 'Passage' de Saint Louis à Tunis. Sa place dans l'histoire des Croisades, in: *Revue d'histoire économique et sociale* 50 (1972), pp. 289–303.

Reitz, Dirk: *Die Kreuzzüge Ludwigs IX. von Frankreich 1248/1270*, Münster: LIT, 2005.

Richard, Jean: Ludwig IX., d. Hl. Kg. V. Frankreich, in: *Lexikon des Mittelalters* 5 (1999), cols 2184–2186.

Rikabi, Jawdat: Ibn Maṭrūḥ, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 3 (1986), pp. 875–876, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_3291.

Silvestre de Sacy, Antoine-Isaac: Mémoire sur le traité fait entre le Roi de Tunis et Philippe-le-Hardi, en 1270, pour l'évacuation du territoire de Tunis par l'armée des Croisés, in: *Histoire et mémoires de l'Institut royal de France* 9 (1831), pp. 448–477.

Sebag, Paul: Tūnis, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 10 (2000), pp. 629–639, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_7630.

Siberry, Elisabeth: Missionaries and Crusaders, 1095–1274: Opponents or Allies, in: *Studies in Church History* 20 (1983), pp. 103–110.

Singer, Hans-Rudolf, Ibn Ḫaldūn, in: *Lexikon des Mittelalters* 5 (1999), cols 316–317.

Sternfeld, Richard: *Ludwigs des Heiligen Kreuzzug nach Tunis 1270 und die Politik Karls I. von Sizilien*, Berlin: E. Ebering, 1896.

Strayer, Joseph R.: The Crusades of Louis IX, in: Kenneth Setton, Robert Lee Wolff, Harry W. Hazzard (Hrsg.), *A History of the Crusades, Volume 2: The Later Crusades, 1189–1311*, Philadelphia: Pennsylvania University Press, 1962, pp. 487–518.

Talbi, Mohamed: Ibn Khaldūn, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 3 (1986), pp. 825–831, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_COM_0330.

Talib, Adam: A New Source for the Poetry of Ibn Maṭrūḥ (1196–1251), in: *Annales islamologiques* 49 (2015), pp. 115–141, URL: http://journals.openedition.org/anisl/2521 (access: 14 June 2022).